

جواد سليم ومنشأ جماعة بغداد للفن الحديث

بقلم عبدالرحمن مجيد الربيعي

- ١ -

تكاد أن تكون الجماعات الفنية ظاهرة واضحة ومعروفة في الفن العراقي والملاحظ لمعطيات هذا الفن يجد أن هذه الجماعات قد لعبت دورها الكبير في التحول نحو الافضل والاجود وفسح المجال أمام المحاولات التجريبية لتمارس لعبة الحظ مع الجمهور ولتثبت بعد ذلك مكانتها . وللجماعات الفنية هذه تأثيرها في خلق مجال المنافسة فيما بينها - مع أن أعضاء هذه المجموعات هم أعضاء جمعية الفنانين العراقيين قبل كل شيء والتي هي الام الرؤم التي تجمع شملهم كل عام في معرضها السنوي الكبير لذا فان لكل مجموعة نشاطها الواضح الخاص الذي يضم نتاج أعضائها . والمفروض مبدئيا ان افراد كل مجموعة ملتقون معا وفق مفهوم معين ومنطلق واضح يتفق عليهما الجميع ويحاولون ابرازهما من خلال معارضهم المشتركة الا ان المسألة الراضحة بالنسبة للمجموعات عندنا هي اشيء بتكتل اصدقاء اذ نجد الخلاف واضحا بين اساليبهم خلال معرض واحد كما هو عند (الانطباعيين) مثلا الذين تخطوا هذه المرحلة وبرزت لديهم اعمال اكثر معاصرة واستجابة للاساليب الحديثة كالسريالية والتكعيبية . ولقد تحدث الفنان اسماعيل الشبخلي حول زملائه (الرواد) وقال عنهم : « اننا اصدقاء والمفروض ان نساهم سوية كل عام حسب طاقة كل منا في العمل »

ومن أمثلة الاعتماد على عامل الصداقة في تكوين المجموعات حالات كثيرة كالتشكيليين وادم وحواء وتموز والزاوية والمجددين (٢) . ولعل أكثر المجموعات الفنية موفقية في الالتقاء الاسلوبي هي جماعة بغداد للفن الحديث فكل رساميها ونحاتيها يعملون بجدارة وجدية وفق البيان الاول الذي أصدره اثر تأسيسهم (٣) .

- ٢ -

تأسست جماعة بغداد للفن الحديث عام ١٩٥١ - ١٩٥٢ وعقد

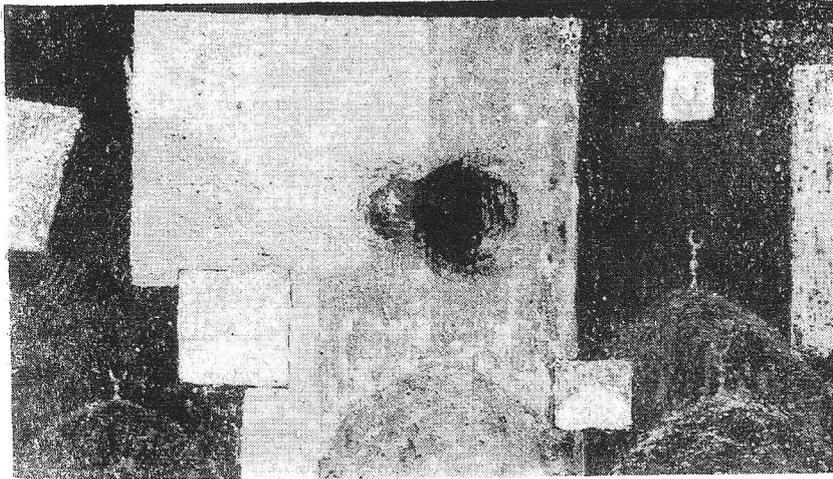
الاجتماع الاول في بيت المرحوم جواد سليم ، وقد شارك فيه كل من :
نزيهة سليم ، لورنا سليم ، نزار سليم ، شاكر حسن آل سعيد ، محمد
غني حكمت ، جبرا ابراهيم جبرا ، علي الشعلان ، خليل الورد ، قحطان
عوني ثم طارق مظلوم الذي خرج عن المجموعة بعد ذلك ، وقد كان الداعي
لهذا الاجتماع المرحوم جواد سليم الذي اعتبر المؤسس لها .

وبعد عامين انضم للمجموعة الفنانان فرج عبو ومحمد الحسيني . ثم
تبعهما اسماعيل الترك ، ميران السعدي ، غالب ناهي ، وبوغوس بابلانيان
الذي ترك المجموعة عام ١٩٥٦ . واخر عضو انضم اليهم هو صالح
العامري المختص في السيراميك ، وشارك عضوان جديدان اخران في معرض
هذا العام ١٩٦٨ هما رسول علوان وميران السعدي .

لقد اتباحث المجتمعون في بيت جواد سليم عام ١٩٥١ - ١٩٥٢ حول
كافة شؤون الفن العراقي والعربي والعالمي والأساليب التي من شأنها ان
ترفع من مستوى وتطور الفن العراقي ليأخذ مكانته اللائقة بين فنون
الشعوب الاخرى ، وأصدر المجتمعون بياناً فنياً أشبه بالبيان الذي أصدره
السراليون عام ١٩٢٤ (٤) وانتموا ببنوده فيما قدموه من أعمال .

وقد جاء في البيان ما يلي :

(تتألف جماعة بغداد للفن الحديث من رسامين ونحاتين ، لكل
اسلوبه المعين ولكنهم يتفقون في استلهم الجو العراقي لتنمية هذا
الاسلوب . فهم يريدون تصوير حياة الناس في شكل جديد يحدده ادراكهم



تجريد : قباب (١٩٦٤) جبرا ابراهيم جبرا

وملاحظتهم لحياة هذا البلد الذي ازدهرت فيه حضارات كثيرة واندثرت ثم ازدهرت من جديد .

انهم لا يغفلون عن ارتباطهم الفكري والاسلوبى بالتطور الفني السائد في العالم ، ولكنهم في الوقت نفسه يبغون خلق أشكال تضي على الفن العراقي طابعا خاصا وشخصية متميزة) .

نقد كان هذا البيان ممثلا يفي بالعرض لانه قد أكد على أهم الجوانب التي يمكن للفنان أن يراعيها حتى يستطيع أن يقدم فنا موقفا له ملامحه وسماته البيئية التي تميزه عن فنون الاقوام الاخرى دون أن يقع في التقليد الاعمى ويفقد هويته ويصبح بعد ذلك جهدا باطلا لا جدوى من ورائه .

ان وليم فولكنر روائي أمريكا الشهير والجائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٤٩ - ١٩٥٠ كانت أغلبية رواياته وشخصه تدور حول المسيحيين والبشر المتجمعين حوله من زنوج وهنود حمر مبقيا على رائحة تلك الارض وحرارتها ولكنه استطاع أن يرتفع بهذه المحلية الى العالمية ، فالمحلية اذن واستلهام الجو العراقي - كما جاء في البيان الاول لجماعة بغداد للفن الحديث يعد أهم تشخيص وأهم تأكيد ، وقد جسّد جواد هذا الجانب في لوحاته اللاحقة أمثال :

الشجرة القتيلة

ساعة القيلولة ١٩٥٨

الفارس والحصان ١٩٥٨



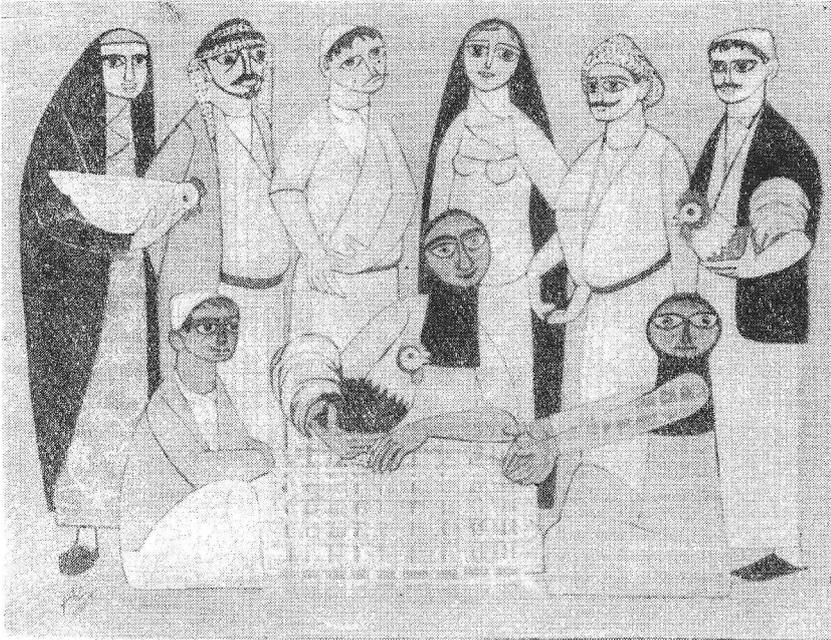
من نصب الثورة تجوآد سليم

١٣٣٣

موسيقي في الشارع
السيدة لورنا ١٩٥٢

ففي (الشجرة القتيلة) روح الاكتشاف الكبير للواسطي والفن العربي ، ونفس روح الاكتشاف هذه تبقى في (موسيقي في الشارع) ، الا ان جواد سليم سبق وان اسس عام ١٩٤١ جماعة (أصدقاء الفن) مع أخويه نزيهة ونزار وفي تلك الفترة اكتشف الفن الآشوري كما في منحوته (موكب ملك آشوري) التي يتجاوز طولها المترين ، واكتشف أيضا حكايات ألف ليلة وليلة ، ورسم عام ١٩٤٢ لوحة مهمة بعنوان (رحلة السندباد الثامنة) التي يقول عنها جبرا براهيم جبرا : (لقد أكثر الشعراء في الآونة الاخيرة من استعمال رمز السندباد ورحلته الثامنة بحيث بدأ لهم انهم اول من اكتشف هذا الرمز العربي الجديد غير ان جواد سليم قد سبقهم اليه في فنه بده الي خمس عشرة سنة ، فقد كان من المعجبين بألف ليلة وليلة ولازمته فكرة الرسم حول مواضيعها طيلة العشرين سنة الاخيرة من حياته (٥) .

أما تأثر جواد سليم بالواسطي فقد كان عن طريق الصدفة (٦) و (عندما رأى له صورتين او ثلاثا مما زين به الواسطي مقامات الحريري) .



سوق الدجاج - بغداد - فرج عبو

وكان للبولونيين الذين دخلوا العراق عند الحرب الكونية الثانية
كلاجئين بعد الاحتلال الالمانى والروسى لبلادهم تأثير كبير على الفن العراقى
عامه وعلى جواد بالذات بصفته أحد أقطاب هذا الفن البارزين اذ كان بينهم
بعض الرسامين الذين تتلمذوا على استاذ لهم تتلمذ هو الاخر على الرسام
الفرنسى الشهير بيير بونار) *

- ٣ -

كانت فترة لقاء الفنانين البولونيين مع جواد سليم وفائق حسن شتاء
عام ١٩٤٢ بداية مرحلة جديدة وتحول ذكى خطير فى الفن العراقى * فجواد
سليم مثلا ترعرع وسط عائلة تعاطى كل أفرادها الفن تقريبا بدءاً من
والده ، وقد تأرجح جواد بين الرسم والنحت وبرز فى اللونين فى النحت
مثلا تمثاله (السجين السياسى) الذى عمله فى مطلع عام ١٩٥٣ يوم وجه
معهد الفن المعاصر الدعوة لفنانى العالم البارزين للاشتراك فى مسابقة دولية
لصنع نصب تذكاري للسجين السياسى ، وقد شارك فى هذه المسابقة
(٤٥٠٠) نحات من (٥٦) دولة ، اختير منها (١٥٠) تمثالا فقط ، عرضت
فى أحسن قاعات العرض بلندن (Tate Gallery) ، ومنحت الجوائز
لـ (٨٦) نحاتا كان جواد سليم أحدهم *

لقد أثار هذا التمثال طائفة من التعليقات حول الفن الحديث ، ولماذا
يمسخ الفنان الحديث الاشكال ، ولعل الكثير من الاسئلة انتصبت
مستفسرة حول هذا الرأى ، والواضح ان الفنان لا ينظر الاشياء وهى
جاهزة مهيأة بل يحاول أن يقتلع الجذور الاصلية ليكشف السر ويحطم
السطحية والعادية فيها ، بتعبير اخر يقوم بعملية ابحار الى روح الاشياء
ليبرز بعد ذلك التأثير الاخير *

ويقول عدنان راسم فى محاولة منه لشرح تمثال السجين السياسى (٧) :
(٠٠) لقد بلغ الصراع الفكرى فى القرن العشرين حدا بالغاً وهو محاولة
للانسان نحو حياة أفضل ، وأصبحت الحرية غاية الشعوب والافراد على
حد سواء واكتسبت لفظة الحرية نفسها مفاهيم جديدة متعددة قد تكون
متناقضة أحيانا ، وفرضت قيودا معينة تنسجم مع النظم الاجتماعية المتبعة
ونظرا لاختلاف هذه النظم فقد أصبح السجين السياسى رمزا للكفاح فى
سبيل الفكرة والمبدأ * لان ما هو ممنوع فى بلد قد يكون مباحا ومحجبا فى
بلد اخر والسجين السياسى فى ذلك البلد قد يعتبر بطلا فى بلد اخر : فلا بد
اذن لمن يريد أن يعالج هذا الموضوع أن يلجأ الى التجريد ليتم الشمول ،
وهكذا عبر جواد عن موضوعه تعبيرا تجريديا لا يخلو من الرمز فهو يقول :
مهما حاولنا ان نحصر المرء بين جدران السجون أو خلف قضبان المعتقلات
فاننا لن نتوصل الى تقييد أفكاره واراائه) *

وهكذا جاءت هذه الملحمية العميقة والشمولية الانسانية الواسعة في السجين السياسي كما جاءت أيضا في نصب الثورة الذي يعد أهم عمل فني لجواد سليم ختم فيه حياته دون ان يراه منصوبا في وضعه الاخير متصدرا حديقة الامة في الباب الشرقي ، ويتألف هذا النصب من أربع عشرة مجموعة من البرونز ، في كل مجموعة منها عدة أشخاص ، وينتشر على افريز شاهق طوله خمسون مترا وعلو منحواته ثمانية امتار وهو أكبر نصب في العالم . وأضحى نصب قام به فنان عراقي منذ (٢٥٠٠) سنة . (٨)

لقد ركزت حديثي حول جواد سليم بالذات لا بصفته المؤسس الاول لجماعة بغداد للفن الحديث ولكن لان اعماله هي التجسيد الحقيقي لاهداف هذه الجماعة كما جاء في بيانهم الاول الذي اصدره عام ١٩٥١ - ١٩٥٢ ، وكان جواد أيضا مفكر وشاعرا اضافة لكونه فنانا وقد جسدت ذلك مذكراته التي نشرت في أحد أعداد مجلة حوار اللبنانية ورسائله الخاصة التي عرضت في معرضه الشخصي الذي أقامته وزارة الثقافة والارشاد العراقية (٩) في مطلع عام ١٩٦٨ ، فقد كان جواد يفكر قبل أن يضع أولى لمساته الفنية سواء على الطين أو على القماش ، لذا لم تكن أعماله طافية خالية من الارضية الفكرية مستندة على الصنعة فقط ، وما زالت اصابع جواد باقية في الاعمال اللاحقة لجماعة بغداد للفن الحديث .

لقد حاول تلامذة جواد وأصدقاؤه ممن انتظموا معه في جماعة بغداد للفن الحديث أن يواصلوا المهمة بعد وفاته ، ولكن وصولهم لهذه الغاية جاء متفاوتا ، فنزيهة سليم مثلا بقيت سجينة عالم وتكنيك ثابتين لم تتخطاهما ، وبقي جبرا ابراهيم جبرا يساهم مساهمة جزئية بلوحاته المتسرة المائلة نحو الزخرفية وبراقية اللون حتى ان مساهمته في المعرض الاخير كانت بلوحة واحدة فقط ، ولعل فرج عبو هو عضو نشط في هذه المجموعة فقد قدم ثلاثة معارض شخصية خلال السنوات التي أعقبت موت جواد وحاول في لوحاته التي قدمها أن يظل وفيا ومؤمنا ببيانهم الذي أصدره . ففي معرضه الشخصي الاول الذي اقيم في اوروزدي باك كان يحاول خلق موازنة بين الشخصوس ، وتنمية العلائق بينهم بعد قتل الارضية منطلقا بذلك من احدى ملامح الفن الاسلامي . وفي معرضه الثاني تخطى مرحلة فراغ الارضية وأخذ يملؤها ، الا انه جعل بين الشخصوس علائق جديدة ، وان انعدمت في هذا المعرض الوحدة التكنيكية لكل اللوحات الا أنه أوضح المحاولة الصادقة لخلق فن عراقي .

وهناك اسماعيل الترك مثلا الذي عاد من روما قبل أربعة أعوام وما زال حتى الان أسير الالوان الرومانسية الشفافة التي هي الصفة الوحيدة التي تعطى للوحاته شرقيتها ، وقد تحدث وضاح فارس مقدما عددا من لوحات اسماعيل الترك بقوله : (٠٠) بلا حاجة للاختباء خلف

القضايا والازمات يقف اسماعيل الترك صحيحا قويا أمام اللوحة ، قضيته الاولى الشكل Form وأزمته الاهم الخلق ، يجرد عمله بسهولة من الانفعال العاطفي والفكري ، ليعطي اللوحة كيانا خاصا جديدا يجد مكانه في نظامه بلا غرابة أو افتعال (٩) .

وفي رأبي أن الترك لم يقف صحيحا أمام اللوحة بل انه ما زال مليئا بالتناقض الجاد ما بين شقيقته التي تقدمها ألوانه ودراسته الاوربية التي تقدمها الاشكال المجردة المتكررة في كل لوحاته ، وانه حتى يقف صحيحا أمام اللوحة بحاجة أمس الى العودة ثانية لدراسة التراث الفني العربي والعراقي والاسلامي .

* * *

يبدو لمتابع أن جماعة بغداد قد بدأت بفقد ذلك الحماس الذي كان يغذيها به جواد ، وأن الخلافات الفردية قد أخذت طريقها اليها ، وهذه ظاهرة مؤسفة ومؤلمة في نفس الوقت ، ففي معرضهم الاخير لعام ١٩٦٨ لم يبق من الاسماء المؤسسة سوى جبرا ابراهيم جبرا ونزيهة سليم ولورنا سليم وخلييل الورد وقحطان عوني وترك المجموعة العدد الاخر ، ان الواجب يدعو أفراد هذه المجموعة أن يعيدوا تجمعهم من جديد لا من أجل مصالحهم الخاصة فقط بل من أجل الفن العراقي الذي أعطوه الكثير وما زال بإمكانهم أن يعطوه المزيد .

*

- (١) من مقابلة خاصة مع الفنان اسماعيل الشيلخي .
- (٢) نلاحظ ان بعض هذه المجموعات قد تشتتت بعد معرض أو معرضين كما هو عند آدم وحواء والزاوية والتشكيليين ، ولكن بعضها رسخت واثبتت وجودها كالمجددين .
- (٣) نلاحظ ان هذه المجموعة قد تهدمت أيضا ومعرضها الاخير غابت فيه العديد من الوجوه المؤسسة لها وهذه ظاهرة خطيرة جدا .
- (٤) عصر السريالية - والاس فاولي ترجمة خالدة سعيد
- (٥) مجلة اصوات - جواد سليم - العدد الثالث ١٩٦١
- (٦) نفس المصدر السابق .
- (٧) مجلة الفصول الاربعة - رئيس التحرير بلند الحيدري - العدد الاول .
- (٨) راجع مجلة اصوات - العدد الثالث ١٩٦١ - جواد سليم بقلم جبرا ابراهيم جبرا
- (٩) أنظر مجلة الآداب اللبنانية - عدد مارت ١٩٦٨ - جواد سليم حياة جديدة - لعبدالرحمن مجيد الربيعي .
- (١٠) مجلة حوار - عدد ايار - حزيران ١٩٦٦